مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

بسم الله الرحمن الرحيم

سواكن بين الأسطورة والواقع

صلاح عمر الصادق*

عرفت سواكن بالعمق التاريخي منذ نشأتها، حيث يبدأ فجر بزوغها بالتاريخ السطوري والذى تفاعلت فيه مع مرور الزمن الأسطورة مع الواقع فتلازمتا حتى وقتنا الحاضر. والأستطورة هى إحدى الأنواع الأدبية الشعبية العالمية، وتعتبر من ضمن ركائز الأدب الشعبي المشكلة لمواد التراث الشعبي التى يعنى علم الفلكلور بدراستها.

عرفت الأسطور أو الخرافة بتعبير أدق، بأنها قصة حدثت فى الماضي القريب وشخصياتها تتكون من شخصيات خارقة للطبيعة وبشر عاديين.

يعتقد الناس على الساحل الغربي للبحر الأحمر وفى سواطن بصفة خاصة أن جزيرة سواكن مسكونة بالجن، فهم لا يقتربون منها بالليل ونسجوا في ذلك كثير من القصص الخرافية تمتعت قطط سواكن بوضعية متميزة فى هذه القصص ونتج عن ذلك مكانة خاصة لها فى الجزيرة فأصبحت المالك الفعلي لها وتعامل بكل تقدير واحترام وخوف من قبل السكان وذلك لقناعتهم الذاتية بأنها ليست قطط بل جان متمثل فى شكل قطط. والجان هو العنصر المشترك فى كل قصص الأساطير التى تدور حول سواكن، أما القطط فقد ارتبطت بالقوة الغامضة الغير منظورة وقد عبده الفراعنة فى مصر وعرف باسم(باست) ("با " يعني روح " است" يعني ازيس) والمعنى الكامل للإسم روح الاله إزيس وهي زوجة الاله اوزريس اله عالم الموتى واعتقدوا أنها سيدة السحر والسحرة وهكذا اكتسب القط احترامه ووضعيته من آلاف السنين ليس فى مجتمع سواكن فقط... بل نجد هذه المكانة المتميزة فى كل المجتمعات وعلى الخصوص المجتمع المصري ويوضح هذا محمد صابر فى كتابه (مصر

* الهيئة القومية للاثار و المتاحف

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير 2004) ISSN:1858-571X

تحت ظلال الفراعنة) حيث يقول: (كثيرون منا يذكرون تحذير أمهاتهم لهم من ضرب القطط ليلاً فيقلن فى هذا الصدد "أوع تضرب القطط بالليل لأن له سبعة أرواح وا ٍن اهانته تعد أذية كبيرة " لماذا يخشى الناس القطط بالذات ويتجنبون اهانته ويحسنون معامله.

لقد حافظت هذه المعتقدات الخرافية على الواقع المادي لسواكن وساعدت على أن يظل هذا الواقع حقيقة ملموسة ممثلاً فى مباني الجزيرة التى بقيت قائمة بصورة سليمة وجيدة على مدى زمني طويل حتى بدت عوامل الطبيعة والبشر العمل على تأكلها وا ٍنهيارها فى السنوات الأخيرة.

والآن.. وبعد هذه المقدمة نأتي لنحدد الفواصل بين ما هو واقعي وما هو أسطوري فى قصة نشأة سواكن وكيف تمازجت الأسطورة مع الواقع فى تناسق وتناغم أعطى مدينة سواكن خصوصيتها بي من مدن العالم أجمع. والواقع الفعلي فى قصة سواكن هو موقعها الجغرافي الفريد وشكلها المتكامل.

الواقع فى قصة سواكن:

أولاً : الكينونة:

تكون مدينة سواكن السودانية على الساحل الغربي للبحر الأحمر جنوب ميناء بورتسودان على بعد(50) كلم منها، عند خط عرض 11، 19 درجة شمالاً وخط طول 20، 37 درجة شرق – خريطة رقم (NE,31,A) مقياس: 1: 250,000 (مصلحة المساحة السودانية) وتقع سلسلة جبال البحر الأحمر غرب سواكن على بعد عشرات الكيلومترات منها ممتدة جنوب – شمال وكانت سواكن تعتبر أهم ميناء على البحر الأحمر حتى عام 1909 م. وعندما فتحت ميناء بورتسودان. وتربط سواحل البحر الأحمر بدواخل السودان وأفريقيا، كما أنها

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

تتاجر مع موانئ الشرقية على الساحل الآخر مثل ميناء مخا والحديدة فى اليمن وجدة وينبع فى السعودية والعقبة فى الأردن. مما أضاف أهمية لمواقعها أنها كانت تتوسط موانئ الساحل الغربي مثل عصب ومصوع فى أريتريا وعيزاب وعقيق فى السودان ورأس بنياس والقصير فى مصر.

ثالثاً : الوجود:

توجد سواكن من ثلاثة مناطق أو أجزاء متكاملة، حيث يقع الجزء الأول منها على الأرض الساحلية ثم يأتي الجزء الثاني وهو الرئيسي ويقع داخل الجزيرة وقامت عليه كل مباني سواكن الهامة ومحيط الجزيرة اثنين ونصف كيلومتر وتبعد عن البر أو الجزء الأول بحوالي(40) متر، أما الجزء الثالث وهو الجزيرة تعرف باسم الكوندنسر – أو جزيرة الكنداسة تبعد حوالي(80) متر شمال جزيرة سواكن(الجزء الثاني) وكانت تستعمل الجزيرة فى أعمال تتعلق بالميناء مثل مربط السفن وبعض الأعمال الإدارية.. ترتبط هذه الجزيرة فى الجزء الشمالي الغربي منها بالبر وذلك من خلال أرض محاطة أو بربخ تقل فيها مياة البحر، وجزيرة الكنداسة أصغر من الجزيرة الر ئيسية (سواكن).(أنظر خريطة سواكن).وقد سميت جزيرة الكناسة وهو النطق المحلي للاسم الانجليزي الكوندنسر(Condenser Island). وقد أطلق عليها الانجليز عند محاصرة جيوش الأنصار بقيادة الأمير عثمان دقنة لجزيرة سواكن.

وقد نتج عن حصار المدينة قطوع المياة مما أدى بالقوات الانجليزية بقيادة جراهام(Graham) الى تكثيف مياة البحر(تحليتها) بالتبخير بواسطة مكثف(condenser) وضع على الجزيرة فى عام 1884م وكانت تعرف قبل هذا التاريخ باسم جزيرة (عبد الله الجبرتي) ويوجد ضريحة بها.

إن مباني سواكن تعكس مبادئ تخطيط المدن الإسلامية فى العصور الوسطى واللاحقة، ويقسم معمارها الى ثلاث حقب معمارية:

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير 2004) ISSN:1858-571X

1- الفترة القديمة: ويمثلها مباني ترجع التركية القديمة وخير مثال لهذا المعمار هو الجامع الحنفي والشافعي داخل الجزيرة والذى يرجع البعض بناء الجامع الشافعي الى عهد أقدم الفترة المماليك، ويقال أنه قد بنيته الملكة شجرة الدر(1250م). ويؤرخ لهذه من القرن الخامس حتى القرن الثامن عشر الميلادي.

2- الحقبة الوسطي: وترجع الى نهاية القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر وينتسب معمار هذه الفترة الى طراز المعمار التركي وتتميز مباني هذه الفترة بأنها تتكون من ثلاث طوابق بنسب متناسقة.

3- الحقبة الأخيرة: وأسلوب معمارها هو العمارة المصرية التركية وتبدأ من نهاية القرن التاسع عشر حتى بدية القرن العشرين، وتتميز المباني بالكبر وعدم التناسق.

هناك تمازج تام بين كل هذه المباني التى ترجع الى فترات مختلفة كما أن هذه المباني ذات الشكل المكعب نجدها قد ازدانت وزودت بفتحات شبكية ومشربيات بارزة.

إن مباني سواكن متشابهة فى طرازها لمباني مصوع وجدة والحديدة والمخا وصنعاء وأسلوب البناء مشابه لمباني مكة والمدينة القديمة، فسواكن قد نشأت مدينة اسلامية وتطورت على هذا النسق..

وكان غالبية البنائين يحضرون من جدة وقد أفادني المشرف على القبة "الشيخ أبو الفتح محى الدين الشاذلي القرشي" الكائنة بسواكن بأنه سمع بأن بنائين القبة كانوا قد أحضروا من جدة. إضافة الى ذلك فأن قبة السيد محمد عثمان تاج السر الميرغني المدفون بسواكن بعد أو الفتح بمدة زمنية طويلة سنة 1913 م فقد قام ببنائها بنائيين محليين جداوية (أي أصولهم من جدة).

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

يصف ديرك ماثيوس Derek H. Mathews بأسلوب ساحر بليغ (مهندس مصلحة الأشغال العامة السودانية) سنة 1953م سواكن فيقول:

(أنه من المثير للدهشة بعد مرور من خلال سهل الملح العريض من بورتسودان حتى القدوم والإطلاع على سواكن التى تلوح للعين المباني البيضاء من البعد فى الفضاء المنبسط مثل ناطحات السحاب.

بارغم من أن أقصى إرتفاعاً لبعضها لا يزيد عن أربعة طوابق، لكنها تبدو عملاقة بتباينها مع السهل الخالي. انها مدينة تتراء كما كأنها نحتت من الجبن).

وفيما يلي النص الحرفي :

(It is supervising ,on going across the wide salt plain from port Sudan, to come upon Suakin looming out of the flatness. the white building look like skyscrapers, and although none has more than four floors, they seem semantic, in contrast to the empty plain. the
Town look as if they have been carved out of cheese).

ثالثاً : الاسم:

عرفت سواكن بعدة أسماء ولا زالت تطلق عليها وتداخلت هذه الأسماء مع الأسطورة، فقد ورد اسم سواكن فى مصادر الأوربية القديمة باسم سواكم (suakem) حيث ذكرها القبطان البحري البرتغالي دون جوان دوكاسترو Juan da Castro don عند وصفه لميناء سواكن فى سنة 1505 م. فقد قال ان مساحة الجزيرة لا يوجد فيها موطن قدم إلا وقد بنيت علية المنازل، وعليه فان كل الجزيرة هى مدينة وكل المدينة هى جزيرة ، هذه هى سواكن.

وهذا وصف دو كاسترو:

(In this space there is not afoot of ground but what is taken up with houses, so that all the island is a city, and all the city an island. this is Suakem).

وقد ذكرها أيضـــاً باسم ســواكم جون افنتون Johan Ovington الذى عمل كقسيس بشركة الهند الشرقية منذ سنة 1690م حتى 1693م فى كتابه (رحلة الى

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

سوارت) (A voyage to suratt) الذى يحكي فيه تجريته ووصفة لبعض الأماكن والموانئ الهامة ومنتجاتها فقد ذكر أن من سواكم يأتي سن الفيل والتبر التى يحضرها تجار الهنود.

قال افتون: From Soachim (Suakin),elephants teeth and gold dust which are bought by the merchants of India

ونشير الى أن سن الفيل كان يأتي من ظهير الساحل للبحر الأحمر من دواخل السودان، أما الذهب فانه كان يأتي من مناجم البحر الأحمر(جبيت ودرهيب وانيب) ومناجم منطقة النوبة فى شمال السودان مثل(دويشات وام نباردي ووادي امور).

وحول هذا الاسم سواكم(Suakim) فاننا لانستطيع تتبع أصوله أو مهعناها أو دوافع استعماله بواسطة بعض أوروبي، عصور الاستكشاف الاوربي، وقد تلاحظ لدينا أن جون لويس بوركاهارت(John lewis Burchard) (1784-1817م) أشهر الرحالة المستكشفين فى العصره والذى زار سواكن فى طريقه الى مكة فى 1814م. وقد ذكرها باسم سواكن.

إن اسم سواكن هو اسم يوجد ما يفسره فى الأسطورة الثانية التى سنذكرها لاحقاً عند استعراضنا للأساطير وقد ذكر بواسطة الرحالة والكتاب ولجغرافيين العرب نذكر بعضاً منهم:-

فقد ذكر ها المسعودي(956م) فى كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وياقوت الحموي (1229م) فى معجمه(معجم البلدان) وأيضاً ذكرها أبو الفداء(1331م) فى مختصره، كما أشار إليها القللشندي(1471م) فى مؤلفه(صبح الأغشى فى صناعة الانشا).

أخيراً نأتي إلى الرحالة العربي الشهير ابن بطوطه(1304-1377م) الذى زار سواكن وهو قادم إليها من مكة وذكرها باسم سواكن وقدم صورة وصفية واقعية

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

بديعة لسواكن عكست كافة أوجه الحياة وأحوالها فى تلك الفترة وقد رأيت أن أذكرها نموذج منها يمثل لنا هذه الكتابات العربية عن سواكن، وهذا بعض ما قاله ابن بطوطة:

(وبعد يومين من مسيرنا وصلنا إلى حي من العرب يعرفون بأولاد كاهل، مختلطين بالبجاز عار فين بلسانهم).

وفى ذلك اليوم وصلنا الى جزيرة سواكن، وهى على نحو ستة أميال من البر، ولا ماءبها ولا زرع ولاشجر، والماء يجلب إليها فى القوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر. وهى جزيرة كبيرة وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش، والمعزي عندهم كثير، والألبان والسمن، ومنها يجلب إلى مكة وحبوبهم من الذرة كبير الحب يجلب منها أيضاً إلى مكة.

ذكره سلطانها: (وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي إليها الشريف زيد بن أبي نمى وأبوه أمير مكة وأخواه أميريها بعده وهما عطيفة ورميثه اللذان تقدم ذكرهما.. وصارت إليه من قبل البجاة فانهم أخواله ومعه عسكر من البجاة وأولادهم كاهل وعرب جهينة).

أما الاسم الثالث الذى أطلق على سواكن فهو اسم سواجن وتنطق با(چ) المعطشة(سواچن) وهو اسم يتداخل مع الأسطور ة الأولى والثانية يفسرها وتفسره، ويطلق هذا الاسم فقط من قبائل الرشايدة العربية القاطنة بشرق السودان وعلى سواحله. والرشايدة هم آخر هجرة عربية قدمت للسودان فى بداية القرن التاسع عشر الميلادي. وقد درجوا على نطق(ج) كجيم معطشة ولا يعرفون لسواكن اسم آخر غير هذا الاسم(سواجن).

والآن إلى الاسم الأخير الذى يربط بالأسطورة الثالثة والأخيرة وهو الاسم الذى يعرف به قاطني المنطقة مدينة سواكن، فقبيلة الهدوندوة تعرف سواكن باسم(اوسوك) وتعني الكلمة السوق بالعربية ويبدو أن كلمة اوسوك هو تخريج محرف

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير 2004) ISSN:1858-571X

لكلمة السوق العربي باللسان التبداوي والحقيقة أن سواكن تمثل السوق الرئيسي لكل قبائل الهدندوة الذين يسكنون التلال المجاورة ولايقدمون لسواكن إلا للتسوق.

مما سبق، هذه هى معطيات الواقع فى قصة سو اكن من حيث موقعها ووصفها واسمها، وقد أوضح الواقع بعض الأشياء وصمت عن البعض الآخر وهنا تتداخل الأسطورة لتتضمن فى مضامينها تفسيراً لهذا الواقع وما غض عليه وا ٍعطاء اجابات وتعليلات ترضي وتزيل ما التبس على النفس البشرية فى تفسيرها لبعض الظواهر أو تؤيد الأسطورة رواء معينة عجز الواقع عن تأيدها فنشأت أو خلقت الأسطورة لتمزج ما بين الواقع والخيال، فالأسطورة تحمل مضامين من الواقع.

الأسطورة فى قصة سواكن:

لقد عرفنا فى البداية هذه الدراسة الأسطورة ولكنه كان تعريفاً للشخصيات المشكلة لبنائها، وهو تعريف يتطابق مع تفسير الأساطير التى سوف نذكرها، ولكن هناك وظيفة للأسطورة Function رأينا أن نقدمها من قاموس الفولكلور الذى يعرف الأسطورة تعريف وظيفي بالآتي:-

" الأسطورة: قصة تقدم وكأنها حدثت فى الزمن الماضي وهى تفسر المعتقدات الكونية الخارقة للطبيعة لدى الناس مثل أربابهم وأبطالهم وسماتهم الثقافيى ومعتقداتهم الدينية، والغرض من الأسطورة هو التفسير، وهكذا تخبرنا الأساطير عن خلق الانسان والحيوان ومناظر الأرض ".

الأسطورة الأولى:

كانت جزيرة سواكن على البحر الأحمر جزيرة خالية معزولة يسكنها الجن وكان أحد ملوك الحبشة قد أهدى سبعين جارية بكر إلى نبي وملك اسرائيل سليمان بن داوؤود، وكان على صداقة مع الحبشة وأر سلت إليه فى بيت المقدس باورشليم، وقد أحرت بهن السفن من مصوع فى الجنوب فى طريقهتن إلى الشمال إلى القدس، وفى الطريق ألقت السفن مرساها فى سواكن واستطابت الإقامة بها وفى الليل واطأ

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير 2004) ISSN:1858-571X

الـسواكنين الجن الجواري ولما وصلنا إلى ميناء العقبة ثم سرنا إلى القدس ففرح بهن سليمان ولكن بعد شهور ظهر عليهن الحمل وغضب سليمان واستفسرهن عن الأمر فحكين له كيف أثناء إقامتهن فى الجزيرة قد قام بزيارتهن بالليل جن فوطؤهن وهن غير مسئولات عما حدث لهن وصدق سليمان قصتهن، ولكي لا يزعج صديقه ملك الحبشة فانه قد قام بارجاع الجواري مع أطعمة وملابس إلى جزيرة سواكن وبعد مدة أرسل إليهن أطعمة وملبس ومركب (سمبوك) وبعد مدة ولدت الجواري فكان هؤلاء الأطفال نواة سكان سواكن، أما البسمبوك فقد كان نواة تجارة سواكن البحرية وهكذا عر فت سواكن بأنها عملت بواسطة الجن(سواجن) ومن هذه الأسطورة اشتق هذا الاسم(سواجن)وهو الاسم الذى يطلقه عليها الرشايدة كما ذكرنا سابقاً .

ويؤمن السكان فى سواكن بهذه الأسطورة ويقولون أنهم يشاهدون فى المساء أشخاص ذو بشرة نحاسية يجوبون طرقات سواكن ويعتقد السكان أن هولاء الناس هم آخر سلالة ذلك الجن وانهم يعاقبون كل من يأتي بفعل سيئ فى سواكن.

إن بناء شخصيات الأسطورة هنا قد قامت على عنصر بشري طبيعي(ملك الحبشة – الجواري – الملك سليمان) وعنصر خارق للطبيعة (الجان) كما توفر الأسطورة عنصر الزمان والمكان – زمن الملك سليمان بن داؤود وملك الحبشة. أما المكان – أرض الحبشة وسواكن وبيت المقدس.

والآن لنرى كيف توظفت هذه العوامل فى بناء الأسطورة وا ٍعطائها شئ من الواقعية، إن الأدلة التاريخية تؤيد العلاقة التجارية مابين موانئ البحر الأحمر وسواحل البحر الأبيض، بل تؤكد النصوص الدينية فى التوراة إن الملك سليمان بن داؤود فى القدس أورشليم كان يستورد البضائع الأفريقية من سواحل البحر الأحمر الغربية فى السودان والحبشة فتقول التوراة النص:

(وجميع آنـية شـرب الملك سـليمان مـن ذهـب وجـميع آنـية بـيت وعـر لـبنان مـن ذهب خالص لا فـضة.. هى لم تـحسـب شـيئاً فـى أيـام سليمان. لأنـه كـان لمـلـك فى البحر

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير 2004) ISSN:1858-571X

ســـفن ترشيش مع سفن حيرام. فكانت سفن ترشيش تأتي مرة فى كل ثلاث سنوات أتت سفن ترشيش حاملة ذهب وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض فى الغنى والحكمة).

إن مضمون الأسطورة يفيد بأن سواكن قد أنشأها أناس أتوا من الخارج وقوى خارقة للطبيعة وعليه فإنه ليس هناك حق لقوة محلية الإدعاء بإنشاء سواكن، هذا المضمون الأسطوري يتشابه تماماً مع المضمون الواقعي الذى يقول بأن أصول السكان القاطنين للجزيرة هم نسل لأقوم أتوا من الخارج للميناء منذ زمن بعيد. وقدموا من جهات مختلفة من العالم المجاور والبعيد وأسسوا تجارة رابحة فى الجزيرة وقد ابتعد هؤلاء عن جنسياتهم السابقة واكتسبوا جنسية فخروا وتعصبوا لها وهى انهم سواكنية وان كان هذا لاينفي أن هناك عائلات من قبيلة محلية أتوا من الجبال المجاورة واستوطنوا القيف (خارج الجزيرة الرئيسية) وادعوا الحق فى إنشاء سواكن وقد وظفت الأسطورة الثالثة لتثبيت هذا الحق وسنوضح ذلك فى حينه، ولنعود الآن لأصحاب الأسطورة الأولى.. إن هؤلاء السواكنية هم من وظفت الأسطور ة لصالحهم ولتفسير تواجدهم ولإعطاء الحق لاشرعي لهم فى سواكن ولتخدم ترابطهم ووحدتهم الذاتية ولتخلق لهم كينونة تعود بهم إلى أزمان سحيقة فى التاريخ.

إن القارب(السمبوك) الذى أهداه نبي الله سليمان والذى اسبغ رعايته وعطفه النبوي على المستوطنين الأوائل للجزيرة أسلاف الحاليين والذى لا يزال يستعمل حتى الآن فى تجارة سواكن كان هو الرمز والدليل المادي الملموس الرابط لأحداث الأسطورة مع أحداث الواقع الحالية.. لقد تداول هذا السمبوك طيلة القرون وحتى الآن فهو رمز لسواكن الماضي والحاضر.

وفى النهاية نجد أن تركيب هذه الأسطورة متكامل من حيث بناء الشخصيات المشكلة لها ومن حيث الزمان و المكان والوظيفة التى هدفت إليها.

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

الأسطورة الثانية :

إن نبي الله سليمان بن داؤود ملك بني اسرائيل كان قد جعل من سواكن سجناً للمجرمين وكان يعتقد أن سواكن آخر مكان فى العالم فهى خير مكان لحبس هؤلاء المجرمين وبذلك لا يسبب أي ضرر ويهربوا منها، وبمرور الزمن نما عدد هؤلاء السجناء واعتادوا على الحياة فى الجزيرة وبعد مدة شكل هؤلاء السجناء مستوطنة مزدهرة وعملة على الاتجار مع البجة فى التلال المجاورة وازدهرت تجارتهم وأصبح المكان يعرف باسم سواجن وتعني(أماكن السجون). واستمر الحال بسكان سواجن وازدهرت تجارتهم وازداد رخاء وسمت مكانتهم الاجتماعية وأصبح الاسم يخجلهم وسلحق بهم لاعار ويذكرهم بوضاعة أصلهم، فعملوا على تغييره فأصبح الاسم سواكن.

نلاحظ فى كلتا الأسطورتين الحالية والسابقة أن هنالك شخصية محورية قد تكررت فى الأسطورتين وهو الملك سليمان بن داؤود، وفى كلتا الحالتين ترمز هذه الشخصية إلى المشيئة المقدسة فى إنشاء سواكن. أما الاعتقاد بأن سواكن هى آخر مكان فى العالم فهذا الاعتقاد يرد أيضاً فى الأساطير الإغريقية القديمة ونجد فى ملحمة الإلياذا للشاعر الإغريقى هوميروس (Homerus) القرن التاسع. م، يذكر أن الآلهة الإغريقية تقضي حوالي اثنا عشر يوماً فى السنة فى أرض الأثيوبين والتى يعتبرها الإغريق أبعد مكان فى العالم. جاء فى الأسطورة إن سواكن قد اتخذت سجناً لمجرمين من قبل سيدنا سليمان فنجد فى الواقع أن ساحل البحر السوداني كان يتخذ كمنفى أو سجناً على مدى عدة عصور ويذكر لنا المؤرخ الإغريقي ثيودور الصقلي (Diodoru Sicilian) (60ق.م – 300م) فى تاريخه أن ملوك مصر الفراعنة كانوا ينفون أسرى الحرب وعتاة المجرمين إلى جبال البحر الأحمر وذلك

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير 2004) ISSN:1858-571X

للعمل فى مناجم الذهب الملكية وقد أورد الطبري فى كتابه تاريخ الرسل والملوك أن سيدنا عمر ابن الخطاب قد قام بنفي الصحابي أبو محجن الثقفي إلى باضع ميناء السودان القديم (عند جزيرة عقيق جنوب طوكر 64 كلم). كما أن ملك الفونج قد نفي إلى سواكن بعد هزيمته من منافس له وقد ذكر ذلك كاتب الشونة فى مخطوطته ونجد فى التاريخ الحديث ان الحكومة المصرية سنة 1882م قد قامت بنفي أنصار عرابي إلى سواكن، إن خلفية سواكن كمنفى يخدم الأسطورة ويقربها من الواقعية، اضافة إلى ذلك فإن تحول الاسم من سواجن إلى سواجن كما عرفها الكتاب العرب فهو يفيد تفسير الاسم.

الأسطورة الثالثة:

إن هنالك قبيلة من البجة كانت تسكن المرتفعات الجبلية المجاورة أصيبت لسوء الحظ بالكوارث فأصابها المرض وأيضاً أصاب ماشيتها وكثرت الحيوانات الوحشية المفترسة أكثر من ذي قبل وهاجمتهم وافترست حيواناتهم وأصبحت هذه القبيلة البجاوية التى كانت من أغنى وأقوى القبائل فى المرتفعات من أفقر القبائل ولم تستطيع العيش فى التلال وتركتها ونزلت إلى الساحل بالقرب من سواكن حيث تعلموا صيد السمك وبعد فترة أقاموا صلات تجارية مع القبائل التى تسكن التلال ومدوها بالسلع وعملوا على توفير البضائع وأصبح المكان يعرف باسم أوسوك وتعني السوق.

إن الأسطورة تبدأ أيضاً مثل الأسطورتين السابقتين بمرحلة عصيبة وضيق فى الحياة ثم تأتي مرحلة الانفراج والازدهار فى نهاية الأسطورة أي إن كل القادمين إلى سواكن فى البداية يواجهون مرحلة عصيبة ثم تفرج لهم الحياة وذلك عن طريق البحر وازدهار تجارتهم فيه.

إجمالاً نجد أن هذه الأسطورة ترمي إلى أن سواكن قد أنشئت بواسطة البجة الذين نزلوا إليها من التلال وهنا يبدأ السبب الذى وظفت من أجله الأسطورة والعنصر المستفيد من تداولها وذيوعها. إن حق الإنسان فى تأصيل نفسه طبيعة

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

بشرية. إن الاسم الذى سميت به سواكن حسب الأسطورة (أوسوك) فهو لا يزال يستعمل من قبل البجة (الهدندوة) لسواكن حتى الآن.

من هنا نجد أن الأسطورة قد بنيت على مقدمات أسطورية وواقعية وتوصلت إلى نتائج واقعية هو أمر مقبول فى علم الأساطير. أشير إلى أن الأساطير الثلاثة السابقة تعتبر أشهر الأساطير الثلاثة السابقة تعتبر اشهر الاساطيرحول نشأة سواكن وا ٍن كان هناك بعض الأساطير الأقل أهمية.

وفى النهاية هذه الدراسة نقول أنه ومن خلال معطيات الواقع فى قصة سواكن والتى استعرضناها وتحليل الجانب الأسطوري وابراز العلاقة بينهم نستطيع أن نبني هيكلاً متكاملاً لقصة سواكن، وهذا ما هدفت إليه الدراسة.

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير2004) ISSN:1858-571X

المراجع العربية :

(1) ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – القاهرة، دار الكتاب المصري – بدون تاريخ.

(2) الطبري محمد بن جرير – تاريخ الرسل والملوك – مجلد 17، القاهرة، دار المعارف ، 1963م.

(3) الكتاب المقدس – دار الكتاب المقدس، القاهرة ، مطبعة عنتر – 1969م.

(4) تقرير خبير اليونسكو عن سواكن، مايكل باري كين – بتاريخ 10/11 / 1993م.

(5) عبد المعطي شعراوي – هوميروس شاعر الإلياذة والأوديسا – القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971 م.

(6) محمد الجوهري – علم الفولكلور – القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة – 1978م.

(7) محمد صابر – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية –بدون تاريخ.

(8) محمد صالح ضرار – تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الخرطوم، الدار السودانية للكتب – 1981م.

(9) مخطوطة كاتب الشونة.

(10) يوسف فضل، دراسات فى تاريخ السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1975

مجلة جامعة شندي العدد الأول (يناير 2004) ISSN:1858-571X

المراجع الإنجليزية:

1- Bloss, J,F,E The story of Suakin.SNR,Vol.XIX.1936.
2- Burckhardt, JL.Travels in Nubia, John Murrau. 1819.
3- Cootes. R.J & Snell grove, LE. The Ancient world Hong Kong. Longman.1984.
4- Green law, Jean Pierre. The Coral Buildings of Suakin. London. Oriel press. 1976.
5- Henkel, F, H.The Archaeological map of the Sudan, the area of the Red Sea Coast and northern Ethiopian Frontier Vol.I,1992.
6- Mathews, Derek H. The Red Sea Style .Kush, SNR,VOL.II.1953.
7- Roden, D. The Twentieth Century Decline of Suakin.SNR, VOL.II.1970.
8- Stander Dictionary of Folklore. (ed) Maria leach. London, Funk & Wagnall Company. 1950.
9- The Sicilian, D. The Historical Library of Diodorus the Sicilian. Book III, London, 1814.